مكتبة المقتطف

على هامش الأدب والنقد

الكاتب النابغ الأستاذ عبي أدهم من الكتاب الذين لم يكتبوا كثيراً ، ولكنهم كتبوا كتابات قيمة نادرة . كتب نحواً من ١٢ كتاباً في الأدب والتاريخ والاجتماع او غير هذه ، ربما كتب آخرون غيرها في نفس المواضيع ولكنهم لم يباروه في دراسة المواضيع والتعمق فيها ، واصابة الغرض الأدبي أو العلمي أو التاريخي فيها . ومهما كنت قد طالعت واطلعت فاذا اطلعت على ما كتبه الأستاذ علي رأيت ان فوائد وأفكاراً ومباحث قد فاتتك فلقبتها فيما كتبه .

بين يدي الآن كتاب «على هامش الأدب والنقد» . فاذا قرأت فيه فصل « فن كتابة التراجم » علمت أن بلوطارخس كان أول مترجم بارع للشخصيات ، نبغ في النصف الثاني من القرن الميلادي ، كتب عن أعيان الرومان واليونان فوضع درساً مفيداً للتراجم لا يزال الى اليوم يحتذى حذوه . ثم يعطيك أدهم سلسلة من المترجمين الذين نبغوا في التاريخ . ثم يبسط لك الأسلوب العلمي الذي ساد في القرن التاسع عشر ، وكان له شأن في كتابة التراجم وفن القصة .

ثم يعطيك درساً في النقد الفني بين المذهبين الاجتماعي والفردي . ثم يأتيك بملخص مذهبي الفيلسوفين هيجل وشوبنهاور وغيرهما فكأنك تدرس فلسفة لا نقداً .

وهناك فصل عن الكتاب والكتاب يهديك فيه الى ما تستفيده من الكتاب القيم ويعطيك قيمة قوة الكاتب الاجتماعية . وأثر التفكير العام ومكانة الكاتب الاجتماعية . فتعرف أي كاتب تقرأ وأي كاتب تهمل ، ويفهمك أن الكاتب هو الذي يحترم قارئه ويقدم له كتابة يستفيد منها قارئها ويرى أنه لم يضع وقته عبثاً في قراءتها ، وهو الذي يدع قارئه يراقب كل ما يصدر من قلمه . هكذا اذا قرأت أدهم سعيت الى كل كتاب يصدر منه .

وله فصل في النبوغ والعبقرية تنصح لك أن تقرأه لكي تعلم ما الفرق بينهما ، فهو بحث شيق يغريك بما يكتبه الأستاذ أدهم .

وله فصول أخرى في نقد المتنبي من نواحيه المختلفة المتعددة . وذكرت هذا الفصل القيم الذي يرجح على كل ما كتب عن المتنبي — ذكرته في « مجلة الرسالة » عند صدوره في العام الماضي .

ثم له فصول أخرى في نقد بعض أدباء العرب والاسلام، ثم فصل خاص في نقد رابندرانات تاجور الشاعر الهندي الفيلسوف .

وليس المقام مقام وصف محاسن نبوغ الاستاذ أدهم . اذ أمثال أدهم قليلون بين كتابنا بل نادرون .

فيراتا — أو الهارب من الخطيئة

والأستاذ أدهم يوفر عنك عناء انتقاء الكتاب الذي يصح أن تقرأه من غير أن تضيع وقتك هباءً . فهو يطالع كثيراً ويكتب قليلاً ، فقد قرأ الى اليوم ألف كتاب وكتب ١٢ كتاباً بعضها زبدة ما قرأ وبعضها منتقاة مما قرأ .

كتابه فيراتا مجموعة قصص وأساطير لكتّاب عالميين من أمم مختلفة ، ومن عصور مختلفة ، تحية الأدب والتاريخ والقصص . كلمة قيمة من استفان زفايج الكاتب النمساوي العظيم وأسطورته فيراتا، وهي كلمة أشغلت الاربعين صفحة الأولى من الكتاب، ثم قصص أخرى لكتّاب آخرين مشهورين من جنسيات مختلفة . فلا موجب لسرد هذه الفصول فاقرأها وسرّ واعجب . فهي معرض أدب وعلم بديع .

هجية التعاليم الصهيونية

بقلم الاب المحترم الموري بولس متا مسعد

هذا القس المحترم خرّيج جامعة الفاتيكان في رومه، وقد تثقف ثقافة عالية فدرس العلوم العليا جيداً، وتمكن من اللغات اللاتينية والإيطالية والفرنساوية . وقد مرّ في مكتبة الفاتيكان على التلمود اليهودي الأصلي (بابلي) بما فيه من مخازي ووساخات يقشعر لها بدن الإنسان المثقف وغير المثقف. فلخص هذه المخازي في كتيب بعنوان « هجية التعاليم الصهيونية » أو بالاحرى التعاليم اليهودية .

اليهود يسمون التلمود فوق التوراة ، والحاخام فوق الله (أستغفر الله !) ، والله يقرأ التلمود وهو واقف على قدميه . وما يقوله الحاخام يفعله الله .

إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود هي أطيب من كلام الشريعة . والخطايا المقترفة ضد التلمود هي أعظم من المقترفة ضد التوراة .

يقسم النهار الى ١٢ ساعة ، وفي الساعات الثلاث الأولى يجلس الله ويدرس الشريعة . وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعوب ، وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذي العالم . وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ملك الأسماك ، وملك الأسماك هذا طوله ثلاثمائة قدم يدخل الله في فمه فلا يتضايق .

ولكي تطلع على سائر أمثال هذا التجديف الذي لا تحتمله نفس بشرية يجب أن تطلع على هذا الكتاب الذي نحن بصدده ، فترى أقوالاً لا تخطر في بال المجانين والمخرفين والسكارى والأرذال ، والذين فقدوا الصواب والعقل والأدب والحياء بتاتاً . تجد هذا الكتيب في مكتبة العرب للبستاني في النجالة .

أنفاس محترقة

ديوان للاستاذ محمود أبو الوفا — ١٧٨ ص . من الحجم المتوسط — مطبعة مصر

أبو الوفا شاعر الحياة ، شاعر الطبيعة ، شاعر الجمال في جوهره الصفي ، شاعر النبع إذ يتدفق ماؤه ، والمزن إذ يشدو شدوه ، والحب إذ تهفو إليه وبه القلوب ، والوفاء إذ تزكيه المحبة الخالصة .

إنه شاعر يحب أن يضحك للدنيا ، يحب الشمس تبقى لا تبرح سماها يوم لقيا المحبين ، يحب لهذه الأنهار أن تجري إلى ما ليس له حدود ، يحب الدنيا تغدو ملاعب للهوى ، يحب البدر لا يغشاه السحاب ، والصبح لا يطعنه الضباب ، وفؤاد الصب لا يعرف المشيب .

هذه طبيعة الشاعر « محمود أبو الوفا » ، وهي طبيعة سمحة رائقة ساذجة في براعتها وإخلاصها ، صالحة في صدقها وإصالتها ، بعيدة عن مآتي الأوشاب ولوثات الطوان . طبيعة صافية من سجيتها ، ودود عن سليقة ، حرة في غير تكلف أو إدعاء وفي غير

بهرج أو تزاويق ، نابعة منبثقة من قلب نابض محمول على الكف كأنه في سوق ينادي من يطلبه .

أمشي وقلبي على كفي أقول : ألا ... من راغب في فؤاد صادق حاني ؟
يحب حتى كأن الأرض ليس بها ... إلا زنابق من آس وسوسان
وليس في الأرض من بغض ومن إحن ... وليس في الأرض من ظلم وطغيان
وليس من فوقها إلا سواسية ... من الصحاب ومن أخدان أخدان

ولكن ما جزاء هذا القلب الصادق الحاني ، وما جزاء هذا الحب الدفاق السخي ، وما كفاء هذا الشعور الكريم المطلق ؟

جزاؤه كما يقول الشاعر :

فلا ورسلك ، هذا القلب ما التفتت ... عين إليه ، فيا لليأس العاني ؟

وكما يقول في موضع آخر

أحب أضحك للدنيا فيمنعني ... أن ضاقتي على بعض ابتساماتي

وفي غيرها من ديوانه « أنفاس محترقة » يقول :

أينما سرت لم أجد غير هم ... كامن في الثياب أو هو بادي
أينما سرت لا أراني إلا ... خائفاً في الفلى وشوك القتاد
في بيوت العمال ألقى دخاناً ... من حريق الآلام للأكباد
زفرات كأنهن قلوب ... ذوبتها حرارة الإجهاد

ويقول في موضع آخر :

قضى زماني عليّ أني ... أمشي ورجلاي في القيود
حالت بها في خطاي يمشي ... ذل الأسير المخطى المقود
وبلاه مما لقيت منها ... وبلاه السيد المسود
ظلم ، ولكن أنى قضاتي ... بل أين لي فيه بالشهود
من مثله لم يزل لعيسى ... دم على مذبح اليهود
يا رب فيم الوجود إذا لم ... تمنحه حرية الوجود ؟

قصيدة الشاعر « محمود أبو الوفا » ذات تقاوة وذات جلاء وذات رغبة كبيرة في أن تراعي في تجويدها من الناحية الفنية . ولكن الطبيعة التي تحيط بتلك الطبيعة ليست هكذا ، ولا هذا شأنها . لأن الدنيا حافلة بألوان الضنى ، وفيها من صنوف الألم ما يغري بالسلال ، ولأن الحياة الدنيا ليست مهيأة للحياة الكريمة الخالية من أدران النفس وتجاريب الحس ، ولأن الناس يعملون لأنفسهم ، ويسعون لأكل الحلال وأكل الحرام ويسيرون بالنعمة والوقيعة ، ويعاشون البهيمة في أهواء نفسها العجماء

فالشاعر معذور إذا اجتمعت عليه النوائب ، فأكرهته على البوح بما قد لا يبوح به لدين مشاعره ، وهو لا يستأهل لوماً ولا تثريباً إذا استبد به انفعال العاطفة الحزينة فتدفق من حشاشته شعراً داعياً ثائراً يقول فيه :

كأني فكرةٌ في غير بيئتها ... بدتْ ، فلم تلق فيها أي إقبال
أو أنني جئت هذا الكون عن غلط ... فضاق بي رحبُهُ ، المأهول والخالي
أبي وفي النار مثوى كل والدةٍ ... ووالدٍ أنجبا للبؤس أمثالي
خلّفتني فوضعتَ الحبل في عنقي ... تشدّه كفُّ دهرٍ جِدُّ ختّال
ما كان ضرّك لو من غير صاحبةٍ ... قضيتَ عمرك شأن الزاهد السالي ؟

ماذا يفعل الشاعر ، وهو صاحب نفس شديدة الحس سريعة الانفعال ، إذا استبان له أن الحياة تدبر من حيث هو يقبل ، وأن البسمة المشرقة تقابل بجهامة موحشة ، وان ايقاد مصباح يسطع في غلس الليل ؟ ماذا عليه لو فرّج عن كربه ، وروّح عن ضيق نفسه بتلك القصائد يختلسها من فلذات كبده المفروحة ، فساء يلتمس السلوى ، وينال من مشاركة الآخرين رضاً داخلياً .

ديوان « أنفاس محترقة » هو زفرات حرّى يطلقها شاعر الحب والجمال والفتنة والسحر محمود أبو الوفا ، يطلقها من بعض نفسه ، ومن خلجات فؤاده ، ومن لبنات قلبه . يطلقها وهو يرجو للحياة حولاً عن طريق العوج ، وهو ينشد لها اتجاهاً صوب معارج الكمال ، وهو يريد ويريد ، ولكن :

يريد ومقصيني تجدني أريده ... على من ليس يملك ما يريد ؟

أريد العيش مثل الطير حرًّا طليقاً لا تظله القيود
أريد أفك عن نفسي قيوداً يقاد بها على الخسف العبيد

إذا كانت هناك مشاحف للآثار ، ومعارض للمنتجات ، فان ديوان «أنفاس محترقة» هو معرض للنفس ، فيه بسط الشاعر أبو الوفا نفسه في غير تحفظ ولا تحرُّج ، فخرج — كدأب الشاعرين — عن وقار الكتمان والادعاء الى مجال الابانة الفصيحة . فقال كل ما أراد أن يقول ، وأعرب عن كل رأي ارتأى أن يعرب عنه ، وفرح ما شاء له أن يفرح ، وبكى وأبكى ما طاب له أن يفعل بنفسه وبقرّاء شعره . وهام بك مع الطيور حيث تحلق في أجوائها ، ثم نزل بك الى أرض وتار ذات وقود . تمنّى أن يكون إلهاً ، وودّ لو ألقيت إليه مقاليد الحياة ، وبغى أن يصبح الحبّ بين الناس دستوراً في معاملاتهم وأخذهم وعطائهم ، ونشد أن يؤدي في الحياة رسالة « هي الحب ، حتى ليس للحبّ مانعٌ »

هذا شاعرٌ يضرب على الأوتار نغماً شجيًّا ، ويهصر قلبه عصراً ليقدم ذوب نفسه في ديوانٍ مطبوع منثور . ويكدّ في الشعر كما يكدّ الناس في الحياة ، ليرضي نفسه المتطلعة الى خير المُنى .

إنه شاعرٌ صارخٌ في صدقه ، ممعن في إخلاصه ، إذا أحب عاش للحب يرنّم له مثنى وثلاث ورباع فيقول :

أحببتها ، أحببتها ، أحببتها وأحبُّ في الأيام يومَ رأيتها
وودت لو أني جمعت لها المنى وأتيت بالدنيا لها ووهبتها

وهو شاعرٌ جهير ، هريقٌ غنيٌّ بالمعاني لا يحار في إيلائها ، قوي الديباجة أنيقٌ في لفظه ، ومراعاة حسن توافق العبارات ، موسيقي الشعر حتى ليلهث معه القارىء في خطوه العجلان ، يشجيك أن تسمعه وأن تعاود الإصغاء إليه .

إنه محمود أبو الوفا ، صاحب « أنفاس محترقة » وهي درّة لم تجبى على غرّة .

وديع فلسطين